من تاريخ نخلة التمر

مقدمة تاريخية :

الاسم البابلي لنخلة التمر هو جشمارو (Jishimmaru)، وهو مأخوذ من الكلمة السومرية جشمار (Jishimmar). ويطلق على التمر باللغة السومرية زولوما (Zulumma)، أما في اللغة الآرامية فتسمى النخلة دقلة (Diqla)، وبالعبرية تامار (Tamar)، وبالحبشية تمرة (Tamart) . ويقال تمر تلمون عن تمر البحرين، وتمرمجان عن تمر عمان، وفي الهيروغليفية يسمى نخيل التمر بنر (BNR) أو بنرت (BNRT) ويعني الحلاوة، ويسمى التمر في اللغة الهندية (خرما) وهو مقتبس من الفارسية. والاسم اليوناني فينكس(Phoenix) مأخوذ من فينيقيا (Phoenicia)، حيث كان الفينيقيون يملكون النخل وهم الذين نشروا زراعته في حوض البحر الأبيض المتوسط، و داكتليس (Dactylis) وديت (Date) مشتقة من كلمة دقل (Dachel) العبرية الأصل وتعني الأصابع. وذكر أبو حنيفة الدينوري في مؤلفه ((كتاب النبات)) أن كل ما لا يعرف اسمه من التمر فهو دقل، وواحدته دقلة، وهي الأدقال، وهكذا يسمى النخيل البذري في العراق.

أصل نخيل التمر:

لا يزال أصل نخلة التمر غير معروف حتى وقتنا الحاضر، والسبب في ذلك هو عدم وجود نخيل تمر بري (Wild date palm) تطور منه النخيل الحالي، ولكن بعض الباحثين، ومنهم البكر (1972)، أشار إلى أن نخيل التمر المعروف حالياً نشأ من حدوث طفرة وراثية لنخيل الزينة (نخيل الكناري - ***Phoenix canariensis***)، وبسبب تعاقب الأجيال بفعل التهجين الطبيعي بين الأنواع المختلفة تكون نخيل التمر، فيما يشير آخرون إلى أن أصل نخيل التمر هو نخيل السكر (***Phoenix sylvestvis***). الذي يسمى النخيل البري أو الوحشي،وإن ما يؤكد هذه الاعتقادات هو التشابه بين الأنواع العائدة للجنس فينكس(***Phoenix***) ومنها نخيل التمر، ولكن هذه الأنواع وإن جمعت بينها العديد من الصفات المتشابهة لا زالت بعيدة عن بعضها في الكثير من الخصائص والصفات الأخرى بحيث لا يمكن اعتبار أياً منها أصلاً للثاني، وتبقى الآراء بحاجة إلى الإسناد العلمي والتاريخي لتحديد أصل نخلة التمر.

موطن نخيل التمر:

اختلفت الآراء والدراسات في تحديد الموطن الأصلي لأشجار نخيل التمر، لكن الشيء المؤكد أنها عرفت في الحضارات التي قامت على الأرض العربية منذ أقدم العصور ولما يزل النخيل أهم شجرة عربية .

أشار العالم الايطالي Odardo Beccari المتخصص في العائلة النخيلية إلى أن الموطن الأصلي الذي نشأت فيه نخلة التمر هو منطقة الخليج العربي، فقد ذكر أن هناك جنس من النخيل لا ينتعش نموه إلا في المناطق شبه الاستوائية، حيث تندر الأمطار وتتطلب جذوره وفرة الرطوبة، وهو يقاوم الملوحة إلى حد بعيد، وهذه المواصفات تتوفر في مناطق غربي الهند، وجنوبي إيران، وسواحل الخليج العربي.

بينما ذكر العالم الفرنسي Decandolle أن نشأة نخلة التمر منذ عصور ما قبل التاريخ هو في المنطقة شبه الجافة التي تمتد من السنغال حتى حوض نهر الأنديز وتنحصر بين خطي عرض 10و35◦ شمال خط الاستواء.

وذكر العديد من المؤرخين أن أقدم ما عرف عن النخيل كان في مدينة بابل التي يمتد تاريخها إلى 4000 سنة قبل الميلاد، ولا يستبعد أن يكون قد عرف قبل هذا التاريخ، كما وأن مدينة أريدو وهي من مدن ما قبل الطوفان كانت منطقة رئيسة لزراعة نخيل التمر.

وأشارت الدراسات التاريخية إلى أن موطن نخلة التمر الأول هو الجزء الجنوبي من جزيرة العرب [(اليمن / المدينة المنورة) وجنوبي العراق] وترجم A.H.Sayce بعض النصوص الأثرية عن نخلة التمر حيث ورد فيها (أن الشجرة المقدسة التي يناطح سعفها السماء وتتعمق جذورها في الأغوار البعيدة هي الشجرة التي يعتمد عليها العالم في رزقهم فقد كانت بحق شجرة الحياة (Tree of life)، وعلى هذا تمثلت في أوقات مختلفة في هياكل بابل وآشور). وورد في الآثار العراقية إشارات كثيرة عن نخيل التمر منها :

1) كان أول ظهور موثق لشجرة نخلة التمر في العالم القديم في مواقعي تل عوويلي وتل أبو شهرين، في أقصى جنوب العراق 4000 سنة قبل الميلاد.
2) تم اكتشاف قصة آدم وحواء والشجرة المحرمة في أنقاض الحضارة السومرية التي يرجع تاريخها إلى 2700 سنة قبل الميلاد، حيث عثر على لوح يحتوي على رجل وعلى رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة عارية الرأس جالسين وبينهما نخلة تحمل عذقين من التمر واليد اليمنى للرجل ممتدة قرب أحد العذوق بينما اليد اليسرى للمرأة تقطف التمر من العذق الثاني وهناك أفعى منتصبة وراء المرأة تحثها على أكل ثمار الشجرة المحرمة وهي التمر.
3) يوجد في المتحف العراقي في بغداد ختم يرجع إلى عصر الأكديين (2730 سنة قبل الميلاد) يحتوي على رجلين بينهما نخلة التمر.
4) الآشوريون في العراق كانوا يقدسون أربعة أشياء هي]المحراث، والثور المجنح، والشجرة المقدسة، ونخلة التمر[، وعثر على هذه الأشياء منقوشة على تاج وضع في أعلى محراب للعبادة يعود إلى عصر أسرحدون (680 – 669 سنة قبل الميلاد) .
5) تم اكتشاف لوح سومري يرجع إلى عهد الملك شوسن من السلالة السومرية الثالثة (78 – 1970 قبل الميلاد) يحتوي على وصف كامل لبستان نخيل يعود إلى معبد إله مدينة أوما، وقسم اللوح إلى ثمانية أقسام كل منها يمثل صنف من الأصناف المزروعة، وثبت عمر النخيل المثمر وغير المثمر وكمية الغلة.
6) حمورابي سادس ملوك السلالة البابلية الأولى والذي حكم 42 سنة بين (1792 – 1750 قبل الميلاد)، وهو واضع أول شريعة في التاريخ والمعروفة باسم مسلة حمورابي والتي تألفت من 282 مادة خصص سبع مواد فيها عن نخلة التمر. ونذكر منها :

* **المادة (59)** : فرضت فيها غرامة قدرها 225 غ من الفضة على كل من يقطع نخلة واحدة.
* **المادة (60)** : نظمت أصول المغارسة والعلاقة بين صاحب الأرض والمغارس أو البستاني، ونصت على ما يلي: { يقوم البستاني بغرس الأرض بالفسيل والاعتناء به لمدة أربع سنوات، وفي السنة الخامسة يقسم حاصل البستان مناصفة بين صاحب الأرض والبستاني} .
* **المادة (64)** : خصصت ثلث حاصل البستان من التمر إلى الفلاح أو البستاني الذي يقوم بعملية تلقيح الأشجار والعناية بها.
* **المادة (65)** : فرضت على الفلاح أو البستاني أن يدفع إيجار البستان كاملاً للمالك إذا سبب إهماله وعدم عنايته بالأشجار إلى قلة في إنتاج التمر.

7) تعتبر عملية تلقيح أشجار النخيل من الطقوس الدينية لدى السومريين والبابليين .

النخيل في اللغة العربية :

النخيل كلمة عربية الأصل، ففي الخط المسند في اليمن القديم ذكرت كلمة (نخل) أو (انخل) وتعني النخيل وبساتينه ومزارعه، ومن (نخل) أخذت كلمة (منخل) بكسر الميم أي مزارع النخيل.

ونخل الشيء .. ينخله نخلاً: أي صفاه واختاره.

والنخل : التصفية.

والانتخال : الاختيار.

والنخلة : شجرة التمر .... والجمع نخل ونخيل ونخلات.

أثمرت النخلة : حملت التمر.

التمار : بائع التمر.

التامر: الذي عنده تمر، وهو مطعم الناس التمر.

التمري : محب التمر.

أتمر فلان : كثر عنده التمر.

المتمور : المزود بالتمر.

وجاء في لسان العرب (المجلد 2 ، الصفحة 414) أن أول التمر طلع، ثم خلال، ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر. وورد ذكر الكرناف (أصول الكرب التي تبقى على الجذع)، والشماريخ (العثكال) عليه بسر، والعرجون(عود الكباسة)، وأبرت النخل (لقحته).

النخيل في الأديان السماوية :

أولاً – في الديانة اليهودية :

يعتبر التمر عند اليهود أحد الثمار السبع المقدسة، وتزين بيوتهم بسعف النخيل ابتهاجاً بعيدهم (عيد العرازيل أو عيد المظال) . وإن لفظة (تامار) العبرية تعني (النخل والتمر) معاً، ولاحظ اليهود اعتدال جذع النخلة وقوامها المديد السامق وخيرها الكثير الوافر فأطلقوا اسم " تامار" على بناتهم رمزاً للجمال وتيمناً بالخصوبة.

ولقد ورد في الكتاب المقدس (إن كنة يهودا بن يعقوب دعيت تامار واسم ابنة الملك داوود تامار أيضاً) وأن حكيمة بني إسرائيل " دابورا" كانت تجلس للقضاء تحت جذع نخلة عرفت باسمها . وورد ذكر النخل والتمر في التلمود (أكبر وأقدم موسوعة يهودية)، وجاء فيه أن بعض علماء التلمود يوصون الناس في استثمار صداق (مهر) زوجاتهم بالأمور التالية :

* شراء الأراضي الزراعية، شراء بيوت السكن، شراء بساتين النخيل، شراء الكروم .
* وعن أهمية النخل والتمر حكاية طريفة يتناقلها اليهود وهي :

سأل أحدهم يهودياً من العراق، ما هي أثمار بلادكم ؟

أجابُ التمر، ثم ماذا؟ فأجابُ التمر أيضاً، فاستغرب الرجل من الجواب فأجابه العراقي إننا نستفيد من النخل فوائد عدة : نستظل به من وهج الشمس، ونأكل ثمرته، ونعلف ماشيتنا بنواته، ونعلن عن أفراحنا بسعفه، ونتخذ من عصارته عسلاً وخمراً، ونصنع من جريده وخوصه الأواني والحصران والأثاث، ونتخذ من جذعه خشباً لسقوفنا وأعمدة لبيوتنا ووقوداً لطبخنا، فهل من بعد هذا من ثمر.

* شاعر المزامير الأكبر شبه الرجل الصالح بالنخلة المزهرة.

ثانياً – في الديانة المسيحية :

يقال للنبي عيسى (ع) ذو النخلة لأنه ولد تحت النخلة . وورد في الإنجيل أن أنصار السيد المسيح (ع) فرشوا سعف النخيل في طريقه عند دخوله بيت المقدس لأول مرة، وكان (ع) يحمل فسيلة نخيل بين ذراعيه أثناء دخوله مدينة القدس كرمز للمحبة والسلام، وأن سعف النخيل كان علامة من علامات النصر في الحروب حيث يحمل أمام مواكب المنتصرين. ويعتبر المسيحيون الغربيون شجرة النخيل شجرة الحياة، ولهم يوم أحد يسمى أحد النخيل (Palm Sunday) يستعملون فيه سعف النخيل لإقامة شعائرهم الدينية، لذا يوجد في العاصمة الإيطالية وفي منطقة 4000) Boodeghera) شجرة نخيل، والسبب في زراعتها هو تهيئة السعف لإقامة الشعائر أو الطقوس الدينية يوم أحد النخيل في الفاتيكان كل عام .

ثالثاً – في الديانة الإسلامية :

ورد ذكر هذه الشجرة المباركة في القرآن الكريم تحت مسميات عدة، فلقد ورد ذكر أشجار النخيل في(17) سورة قرآنية من أصل (114) سورة، وبلغ عدد الآيات التي ورد فيها هذا الذكر (22) آية في هذه السور السبعة عشرة . ولقد تكرر ذكر كلمة النخيل أو أجزاء من هذه الشجرة كالطلع والجذع في الآيات القرآنية وكما مبين في **الجدول 1**.

الجدول1. مسميات النخيل كما وردت في القران الكريم.

الجزء المذكور	عدد المرات	السورة والآية
نخل	5	الكهف الآية 32 / الشعراء الآية 148 / القمر الآية 20 / الرحمن الآية 68 / الحاقة الآية 7.
النخل	5	الأنعام مرتين الآية 99 والآية 141 / طه الآية 71 / ق الآية 10 / الرحمن الآية 11.
نخيل	5	البقرة الآية 226 / الرعد الآية 4 / الإسراء الآية 91 / المؤمنون الآية 19 / يس الآية 34.
النخيل	2	النحل(مرتين) الآية 11 والآية 67 .
النخلة	2	مريم (مرتين) الآية 23 والآية 25.
نخلا	1	عبس الآية 29.
جذع	2	مريم (مرتين) الآية 23 والآية 25.
جذوع	1	طه الآية 71.
إعجاز	2	القمر الآية 20 / الحاقة الآية 7 .
طلع	3	الأنعام الآية 99 / الشعراء الآية 148 / ق الآية 10.
الأكمام	1	الرحمن الآية 11.
رطب	1	مريم الآية 25.
العرجون	1	يس الآية 39.
لينه	1	الحشر الآية 5.

إن ذكر نخلة التمر في الآيات القرآنية ورد تحت مسميات عدة (نخل، والنخل، ونخيل، والنخيل، ونخلاً)، وفي سور عديدة، وإن هذا الذكر مرتبط دائماً مع ذكر أشجار فاكهة مباركة أخرى هي العنب أو الأعناب والزيتون والرمان، ويرتبط ذكر هذه الأشجار مع ذكر الجنة أو الجنات التي تجري من تحتها الأنهار التي وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بها في الدار الآخرة، وهذا دليل قاطع على أن نخلة التمر هي من أشجار الجنة المباركة .

وفي سورة مريم ذكر جذع النخلة مرتين في الآية (23) حيث كان مخاض السيدة مريم عند جذع النخلة،وفي الآية (25) كان الأمر للسيدة مريم بأن تهز جذع النخلة لتستمد منها القوة والتحمل والصبر فكيف يكون لامرأة تصارع آلام المخاض أن تهز جذع النخلة ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى تمنحها القوة لتتناول الرطب أثناء عملية المخاض وهو يسهل الولادة « وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا « ، إن في ذلك الأمر حكمة طبية بالغة حيث أشارت الدراسات العلمية أن ثمار النخيل في مرحلتي الرطب والتمر تحتوي على مادة تنبه تقلصات الرحم وتزيد من انقباضها خلال الولادة، وهذه المادة تشبه مادة Oxytocin التي تساعد على الولادة وتقلل النزف وهذا الهرمون يفرز من غدة تحت المهاد ويخزن في الفص الخلفي للغدة النخامية وهو يتألف من 9 أحماض أمينية، وعند الحمل تقوم الهرمونات التي تفرزها المشيمة وهي الإستروجينات بزيادة قدرة الغدة تحت المهاد على صنع هرمون الأوكسي توسين ومضاعفة

شواهد تاريخية :

1) ذكر الثعالبي في كتابه لطائف المعارف " إن أول من غرس النخلة هو أنوش بن شيت عليه السلام ".
2) ابن وحشية وهو أقدم من كتب عن الزراعة من العرب ذكر أن جزيرة حرقان الواقعة في البحرين قد تكون الموطن الأصلي لنخلة التمر ومنها انتقلت إلى بلاد بابل، وذكر أن النخلة تشبه الإنسان من حيث استقامة قوامها وطولها وامتياز فحولها عن إناثها، ولو قطع رأسها هلكت ، ولطلعها رائحة المني ولها غلاف كالمشيمة، والجمار الذي في رأسها لو أصابته آفة هلكت النخلة فهو بمنزلة المخ للإنسان، ولو قطع سعفها منها لا يرجع بدلاً له فهو كأعضاء الإنسان، أما الرطب فهو أنفع شيء للنفساء.
3) كانت هناك قبيلة عربية اسمها جهينة عاشت قبل الإسلام عملت هيكلاً من التمر اتخذته إلهاً وعبدته وعند انتشار المجاعة أكلت هذه القبيلة إلهها فقال فيهم الشاعر:

أكلت جهينة ربها زمن التقحم والمجاعة.

4) نخلة نجران : ذكر الشيخ العلامة ياقوت الحموي في معجم البلدان " أهل نجران كانوا يعبدون نخلة عظيمة ويحتفلون بعيدها سنوياً، وفي يوم العيد يعلقون عليها الثياب الجديدة وحلي النساء، وابتاع أحد أشرافها رجلاً يدعى (فيميون) إذا قام الليل في بيت أسكنه فيه سيدة استسرح له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فأعجب سيده ما رأى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له (فيميون) أنتم على باطل وهذه الشجرة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت إلهي الذي أعبده لأهلكتها وهو وحده لا شريك له، فقال له سيده افعل فإنك إن فعلت هذا دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه، فقام فيميون فتطهر وصلى ودعى الله تعالى عليها فأرسل سبحانه وتعالى ريحاً فقلعتها من أصلها وألقتها فعند ذلك اتبعه أهل نجران على دين عيسى (عليه السلام). ".

فقام فيميون فتطهر وصلى ودعى الله تعالى عليها فأرسل سبحانه وتعالى ريحاً فقلعتها من أصلها وألقتها فعند ذلك اتبعه أهل نجران على دين عيسى (عليه السلام). ".

5) أول من زرع نخلة التمر في البصرة هو أبو بكره في زمن عتبه بن غزوان حيث قال: هذه أرض خوارة (رخوة) تصلح لزراعة النخيل، ويعتقد أنه جلب فسيلة من الخليج العربي.
6) قال أبو حاتم السجستاني البصري المتوفي سنة 862 م " النخلة سيدة الشجر ". وقال بن ميمون "ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب".
7) كتب قيصر الروم إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض) " إن رسلي أخبرتني أن قبلكم شجرة تخرج مثل آذان الفيلة، ثم تنشق عن مثل الدر الأبيض، ثم تخضر كالزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون عصمة للمقيم وزاد للمسافر،

كتب ومؤلفات العرب عن النخيل :

* كتاب التمر : لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري البصري المتوفي سنة 830 م.
* النخل والكرم : لأبي سعيد عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي المتوفي سنة 831 م.
* صفة النخل : لمحمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي المتوفي سنة 845 م.
* الزرع والنخل : لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفي سنة 845 م.
* الزرع والنخل : لعمر بن بحر البصري المعروف بالجاحظ المتوفي سنة868 م.
* النخلة أوالنخل : لأبي حاتم السجستاني (نزيل البصرة) المتوفي 868 م.
* الزرع والنخيل وأنواع الشجر : للمفضل بن سلمى الضبي البغدادي المتوفي 920 م.
* النخل : لابن سيده الأندلسي المتوفي 1065م.

النخيل في الشعر العربي والأمثال:

ذكر الشعراء العرب النخل والتمر على مر العصور من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث. ففي الجاهلية ذكره طرفة بن العبد، وامرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى الذي قال :

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة وتغرس إلا في منابتها النخل

وفي عصر الرسالة الإسلامية ذكره عمر بن أبي ربيعه، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت الذي قال :

فإنا من يهدي القصائد حولنا كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

وذكره جرير، والفرزدق، وبشار بن برد، والبحتري، والجواهري، ونازك الملائكة، والسياب وإيليا أبو ماضي، وأحمد شوقي الذي قال :

أهذا هو النخل ملك الرياض أمير الحقول عروس العزب